البـاب الأول

التعريف بالخطابـة

التعريف بالخطابــة

الخطابة هى فن الاتصال بالقلوب عن طريــق الآذان،وهــى وسيلة مهمة للوصول إلى كثير من الأمور التى يحتاج إليها البــشر فى السلم والحرب، فى الخير والشر، فى الأفراح والأتراح.

وتنقسم الخطابة لأقسام عديدة منها الحماسى والدينى والفلــسفى والعلمى وغيرها الكثير بحسب المناسبة والزمن ونوعية المستمعين.

وقد اهتم الباحثون، والمفكرون، والدعاة إلى الله عز وجل ببيــان تعريف الخطبة، وأصولها، ومقوماتها، وتطورها، والنماذج الصالحة من الخطباء الذين تركوا أثرا طيبا فى مجتمعــاتهم وكــانوا قــدوة لغيرهم.

فعرف الحكماء الخطابة بأنها: مجموعة قوانين يقتدر بها علــى الإقناع الممكن فى أى موضوع يراد.

وهذا الإقناع عبارة عن:حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك(١).

وعرفها ابن رشد بأنها: "قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأشياء"(٢).

كما عرفها بعض المحدثين بأنها:"فن مشافهة الجمهور وإقناعــه واستمالته"(٣).

ومن تعريفاتها أيضا أنها:"فن من فنون الكلام يقصد به التــأثير فى الجمهور عن طريق السمع والبصر معا"(٤)..

---

(١) مذكرة "الخطابة" للشيخ على محفوظ ص١٠ – الطبعة الثالثة.
(٢) تلخيص الخطابة لابن رشد– تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى ص١٥.
(٣) فن الخطابة للدكتور أحمد الحوفى ص٧– طبعة نهضة مصر بالفجالة.
(٤) الخطابة فى الإسلام.. للدكتور جمعة الخولى، والدكتور مصلح بيومى.

أما الفلاسفة فقد اعتبروا الخطابة علما له أصول وقوانين تمكن الدارس له من التأثير بالكلام، وتعرفه وسائل الإقناع بالخطاب في أى غرض من الأغراض الكلامية، وأن هذا العلم يعنى بدراسة طرق التأثير، ووسائل الإقناع، وما يلزم أن يكون عليه الخطيب من صفات وآداب، وما ينبغى أن تكون عليه أساليب الخطبة، وترتيب أجزائها، وهو بهذا نبراس يهتدى، ومصباح ينير السبيل أمام من عنده استعداد للخطابة ليربى ملكته، وينمى استعداده..[١]

إلى آخر هذه التعريفات المتعددة-قديما وحديثا- للخطابة،**والتى تهدف كلها إلى معرفة أنها:** فن إلقاء الكلام على جمهور من الناس، سواء أكان ارتجالا أو تحضيرا.. وهذا بالطبع لن يكون إلا بالابتكار المبنى على التفكير السليم، والتنسيق المبنى على الترتيب المنطقى الذى لايصطدم مع العقل، والتعبير المبنى على توضيح الأفكار..

ولكن قبل أن نلقى الضوء على كيفية إعداد الخطبة وعن المواصفات التى يجب توافرها فى الخطيب لابد لنا من إعطاء نبذة ولو بسيطة عن تطور الخطابة حتى وصلت إلى ما نحن عليه الآن عبر العصور.

* * *

(١) الخطابة للشيخ على محفوظ ص١١-١٢.

تطـور الخطابـــة

ما دمنا تطرقنا لموضوع الخطابة فلابد لنا أن نلقى نظرة علـــى تطورها بصفة عامة، والعوامل التى أدت إلى هذا التطور.

وإذا دققنا النظر فى الخطابة سنجد أنها فطرية فى الإنسان منـــذ أن خلق، وبالتالى لم يخل منها أى مجتمع من المجتمعات التى حفـــظ التاريخ آثارها من أقدم العصور وإلى يومنا هذا.. ولنتناول تطورها من زمن إلى آخر.

الخطابـة فى اليونان

إذا ما نظرنا إلى أمة اليونان وقرأنا فى تاريخها ســـنجده مليئـــا بالكثيرين من البلغاء والفلاسفة الذين كانوا يستطيعون تحريك الشعب إلى ما يريدون.

وكان هذا بالتحديد أكثر فى أثينا فى القرن الخامس قبل مـــيلاد السيد المسيح – عليه السلام– حيث كان الناس فـــى ذلـــك الوقـــت يجدون لذة فى الاستماع إلى خطيب بارع يتحدث إليهم فى موضوع من الموضوعات المحببة إلى نفوسهم، وكان للخطابة دور كبير فـــى تشكيل حياتهم.

الخطابـة فى المسيحية

ولما جاء الدين المسيحى بعث فيها روحا جديدة وقـــام الرســـل بالتبشير فكانوا كلهم خطباء، إذ قيل لهم سيروا فى الأرض وعلمـــوا الأمم، وقد قامت الكنائس على آثارهم.

ولحاجة هذا الدين إلى إرشاد مستديم نبغ بعض آباء الكنائس فى فن الخطابة، وكان هذا سببا فى ازدهارهـــا.. **ولكن سرعان ما دب الضعف فيها.. فما أسباب ذلك؟!**

- **الضعف الخطابى وأسبابه:**

على الرغم من توهج الفن الخطابى ووصوله لأعلى معـــدلات

نضجه فى القرن الخامس الميلادى مع وجود نخبة مميزة من الفلاسفة والبلغاء اليونانيين، وتوهجه أيضا مع قدوم الدين المسيحى، حيث نبغ بعض آباء الكنيسة فى ذلك الفن إلا أنه سرعان ما دب فيه الضعف نتيجة لعدة أسباب منها:

- انسياب بعض اللغات الغربية إلى اللغة اللاتينية التى كان يخطب بها الخطباء.

- وجود عدد غير قليل من الخطباء الذين يتخذون هذا الفن وسيلة للكسب وجمع المال والهدايا، فنزلت بذلك عن مقامها السامى[١].

وظلت الخطابة فى ذلك الزمن تضعف تارة وتقوى أخرى إلى أن جاء العصر الجاهلى، **فماذا عنها فى ذلك العصر؟!**

الخطابة فى العصر الجاهلى

جاء العصر الجاهلى وكان نصيب الشعر فيه أقوى من الخطابة بكثير، مما جعل أبو عمرو بن العلاء يقول: "كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم".

فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس حينئذ صار الخطيب عندهم فوق الشاعر واستعاد مكانته واستعادت معه الخطابة مكانتها.

وإذا بحثنا عن الأسباب التى أدت إلى اشتهار الخطابة فى العصر الجاهلى نجدها تتلخص فيما يلى:

- الحمية الجاهلية. وشن الغارات فى المدافعة عن النفس والمال والعرض.

---

(١) الخطابة للدكتور نقولا فياض- طبع دار الهلال بمصر ١٩٣٠م.

- المفاخرة بالشعر والخطب فى الحسب والنسب وقوة العصبية.

- شرف الخصال من الشجاعة والكرم والنجدة وحماية الجار وإباء الضيم وغلبة الأمية على العرب وتعذر طرق التواصل المنظمة بينهم وتفرقهم إلى قبائل مستقلة.. إلخ.[١]

وإذا نظرنا فى خصائص الخطابة فى العصر الجاهلى نجدها تتلخص فى:

- قصر الجمل وتخيير اللفظ.

- عدم الاهتمام بالمقدمات.

- التزام السجع غالبا، وسذاجة الأفكار التى يطرحونها.

- ضرب الأمثال واستنتاج العبر من مصارع الطغاة وظواهر الكون.

وكان من أشهر الخطباء فى ذلك العهد: قيس بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس والغبراء، وخويلد بن عمرو الغطفانى خطيب يوم الفجار، وقيس بن ساعدة الأبادى خطيب عكاز، وأكثم بن صيفى.. إلخ.

الخطابة فى الإسلام

عرفنا فيما سبق أن اليونانيين والرومانيين،والرسل فى المسيحية قد برعوا فى فن الخطابة وتوهج بين أيديهم، وأن أهل الجاهلية تراوحوا بينه وبين الشعر فصارت تقوى تارة وتضعف أخرى.

ولكن مالم نعرفه أنهم رغم براعتهم فى هذا الفن لم يستطيعوا أن يخرجوا من الخطباء النابهين مثلما خرجت البيئة العربية فيما يقرب من أربعين سنة بعد أن تشرفت بالإسلام.

ولم يستطيعوا أن يرتفعوا بخطبائهم إلى هذا المستوى عددا وعدة وتوسعا وتنوعا فى أفانين القول وازدهارا فى مجال النمو،

---

(١) مذكرة الخطابة، للشيخ على محفوظ – الطبعة الثالثة.

وأن هذه الدعوة الدينية كما أحدثت انقلابا لا مثيل له فى المجتمع البشرى قد أحدثت فى مجال الخطابة انقلاباً كبيراً، فنبتت على حواشيها الخطابة الدينية فى صورها المختلفة، وأخرى فى السياسة والحكم والحرب والاجتماع وجدل الأحزاب والطوائف كأقوى وأروع ما تكون الخطابة، على حين لم تلد النهضات القديمة والحديثة على اختلاف مواطنها ومنابعها إلا خطابة من نوعها بخلاف النهضات الدينية، فإنها حققت الكثير من وسائل الدعوة إلى الله تعالى وفى مقدمتها الخطابة.[١] وسنتناول فيما هو آت الفرق بين الخطابة فى الإسلام وما سبقه بإيضاح.

الخطابة فى صدر الإسلام

الخطابة فى صدر الإسلام كانت لها المكانة العليا والمقام الأسمى، وكان الخطباء ينتقون من جواهر الألفاظ أعذبها وأظرفها وأحلاها، ومن المعانى أرقها وأدقها وأعلاها، ومع ذلك فقد كانوا يضمنونها آيات من كتاب الله لتزداد حلاوة وتجتذب الناس إليهم، حتى أنه كان يعاب على الخطبة أنها ليس فيها آية من كتاب الله.

الخطابة فى زمن الخلفاء الراشدين

بلغت الخطابة فى زمن الخلفاء الراشدين عنفوان شبابها، فإن القرآن الكريم بما اشتمل عليه من أساليب رائعة أعانهم على الخوض فى عباب البلاغة.

ولم تكن الخطب فى مجتمعهم تتقيد بوقت معين، بل كلما دعت الحاجة إلى القول اجتمعوا فألقيت عليهم الخطبة استثارة أو وعظا أو تذكيرا أو إعلان أوامر أو ما إلى ذلك من أغراض.

وكان الخطيب إذا قال فى أمر ما سحر الألباب وفتح بآيات الوعظ مالا يفتح بالسيوف المرهفة يؤلف من فرقة ويسكن من فتنة ويقطع المنازعات ويزيل الأحقاد.

---

(١) الخطابة فى صدر الإسلام للدكتور محمد طاهر درويش – ج١ ص١٨١– ٤٤٢ مطبعة دار المعارف ١٩٦٥م.

• **عوامل ازدهار وتطور الخطابة فى الإسلام:**

من أهم العوامل التى أدت إلى ازدهار الخطابة فى العصر الإسلامى:

أولاً: ظهور رسالة المصطفى ﷺ التى أخرجت العالم من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى.

فكانت الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقمع الفتن وردع البدع، وتحميس الجند من أهم أغراض الخطابة حينئذ.

وكان لها من آيات القرآن الكريم وحججه معين لاينضب ومدد لاينفد[١]... والدليل على ذلك ما ذكره القرآن الكريم من أسلوب خطابى فى بعض الأحيان على نمط لم يألفوه من قبل فهو يقصد إلى التأثير والإقناع معا بطريقة أجبرتهم على أن يتتبعوا خطاه ويسيروا على منواله مثل ما قاله تعالى لبنى إسرائيل: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[٢].

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ * وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[٣].

إلى أن قال تعالى: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[٤].

فإذا التفتنا إلى هذه الآيات الكريمة نجد فيها الأسلوب الخطابى، ويشتمل على مقدمة للموضوع الذى يراد شرحه، ثم عرض لهذا

---

(١) تاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزيات- الطبعة السادسة.
(٢) سورة البقرة الآية ٤٠. (٣) سورة البقرة الآيات ٤١:٤٣.
(٤) سورة البقرة الآية ٧٥.

الموضوع، وأخيراً الختام الذى يذكر أهم الحقائق التى لابد منها للمدعو.

ليس ذلك فقط بل نجد القرآن الكريم يعلمهم فن القول. وهذا يتضح لنا فى خطابه المباشر لرسوله ﷺ، فقد خاطبه فى كثير من المواطن بقوله "قل" التى ذكرت فى القرآن الكريم٣٣٢مرة. مثل قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(١) ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾(٢)، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(٣)، ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾(٤) ، ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٥) ، ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾(٦).

ثانيا:استجابة النبى ﷺ لمنهج الدعوة إلى الله تعالى، كما جاء فى القرآن الكريم حيث يقول تعالى لحبيبه ومصطفاه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٧).

وهذه الدعوة كثيرا ما تكون عن طريق الخطبة الدينية التى يقوم بها الداعية إلى الله تعالى الموفق فى أداء رسالته. ويكفى هذا الداعية فخرا وتيها ما قاله البارى تبارك وتعالى فى حقه:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٨) .

لذا لما قرأ الحسن البصرى هذه الآية الكريمة قال: "هذا حبيب الله. هذا ولى الله. هذا صفوة الله. هذا خيرة الله. هذا أحب أهل الأرض إلى الله. أجاب الله فى دعوته. ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته. وعمل صالحا فى إجابته. وقال إننى من المسلمين. هذا خليفة الله".(٩)

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٨.
(٢) سورة يونس الآية ١٠٨.
(٣) سورة النمل الآية ٦٩.
(٤) سورة النور الآية ٥٤.
(٥) سورة العنكبوت الآية ٥٠.
(٦) سورة الزمر الآية ٨.
(٧) سورة النحل الآية ١٢٥.
(٨) سورة فصلت الآية ٣٣.
(٩) انظر: الحسن البصرى من عمالقة الفكر والزهد والدعوة فى الإسلام – رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين.

وهذا كله تمثل فى شخص المصطفى ﷺ القدوة.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١].

وبلغ من اقتداء الصحابة عليهم رضوان الله تعالى بالرسول فى الخطبة أنهم كانوا يفتتحونها بالتحميد والتمجيد لله، والصلاة على رسول الله ﷺ، يطلقون على الخطبة التى لم تبدأ بذلك "البتراء"[٢].

ثالثاً: الصراع بين الدعاة إلى الله تعالى وبين المعاندين من الكافرين وغيرهم، فكل منهم يريد أن يجذب الآخر نحوه عن طريق الإقناع والاستمالة. وهذا اعتمد إلى حد كبير على الخطابة.

وحتى نعرف مدى الإصرار الذى كان من المعاندين فى بقائهم على كفرهم، بل فى جذب المسلمين إليهم نذكر هذا الحوار بين الرسول ﷺ وبين عتبة بن ربيعة الذى كلفه قومه ليعرض على الرسول ﷺ أمورا لعله يقبل بعضها وينصرف عن هذه الدعوة، فقال عتبة للنبى ﷺ: يا ابن أخى، إنك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها. لعلك تقبل منها بعضها.. فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع.

قال: يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لانقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لاتستطيع رده، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١.
(٢) سيرة ابن هشام ج١ ص٢٩٤ طبعة مصطفى الحلبى.

يستمع منه،قال:أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم قال:فاسمع منى،قال: افعل، فقال:﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١]، وأخذ الرسول يقرأ حتى وصل إلى السجدة فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

رابعاً: الأفكار الجديدة التى عمل الإسلام على بثها بين المدعوين فتقبلها هؤلاء باهتمام بالغ،لأنها كانت تغريهم دائما وتأخذ بأيديهم إلى سبيل الرشاد.

وعلى سبيل المثال قال الله تعالى:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٢]، فهذه دعوة من الله تعالى إلى عباده للتفكر فى ملكوت الله عز وجل والتطلع إلى هذا الكون الفسيح.. حتى يصل الإنسان عن هذا الطريق إلى الإيمان الصادق والحياة الصحيحة التى يجب أن يحياها الإنسان.

خامساً: الاقتباس من القرآن الكريم.. يقول الجاحظ: "إن الخطبة إذا لم توشح بآيات من القرآن الكريم سميت "شوهاء"[٣] ويقول أيضا: "كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن، فإن ذلك ما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع".[٤]

وفى آثار الصحابة –عليهم رضوان الله– الكثير من هذه الأمثلة مثل ما قاله أبو بكر الصديق ﷺ فى إحدى خطبه: "الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه، وأستهدى الله الهدى، وأعوذ به من الضلالة والتردى، من يهدى الله فهو المهتدى، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لايموت، يعز من يشاء ويذل من يشاء. بيده الخير وهو على كل شىء قدير..[٥]

---

(١) سورة فصلت الآيتان ١:٣.
(٢) سورة الغاشية الآيات ١٧:٢٠.
(٣) البيان والتبيين للجاحظ ج٢ ص٦.
(٤) المرجع السابق ج١ ص١١٧.
(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٢ ص١٣١.

سادساً: مبدأ الحرية الذى أقره هذا الدين الجديد. ويتجلى هذا المعنى فى أول خطبة خطبها أبو بكر الصديق عقب توليته للخلافة الإسلامية، حيث قال: "أيها الناس، إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى. أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم".(١)

من هذا القول لأبى بكر الصديق يتبين لنا أن الإسلام قد ترك حرية النقد البناء لإصلاح المجتمع، لا فرق فى ذلك بين عظيم أو حقير..مما حمل الكثير من الصحابة وغيرهم على أن ينطقوا بكلمة الحق. وبهذا ازدهرت الخطابة وأتت ثمارها.

سابعاً:مبدأ "الشورى" الذى دعا إليه هذا الدين الحنيف فى ضوء ما قاله تعالى:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٢)، وقوله تعالى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٣).

ومن ذلك قال أبو بكر الصديق يوم السقيفة: "أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأكرمهم حسبا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة فى العرب،وأمسهم رحما برسول الله ﷺ، أسلمنا قبلكم. وقدمنا فى القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾(٤)، فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إلى أن قال: فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. لاتدين العرب إلا لهذا الحى من قريش. فلا تنفسوا(٥) على إخوانكم ما منحكم الله من فضله".(٦)

ثامناً: ما حدث بين المسلمين بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه من

---

(١) تاريخ الطبرى ج٣ ص٢٠٣.
(٢) سورة الشورى الآية ٣٨.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩.
(٤) سورة التوبة الآية ١٠٠.
(٥) تنفسوا: نفس عليه بخير (كفرح) حسده ونفس عليه الشيء نفاسه لم يرها له.
(٦) تاريخ الطبرى ج٢، عيون الأخبار ج٢ ص٢٣٤.

فتنة كادت تؤدى إلى ضياع وحدتهم واجتماع كلمتهم. لولا عناية الله تعالى بعباده المؤمنين.

هذه الفتنة نشأ عنها الأحزاب والفرق المختلفة. مما حدا بكل واحد منها يريد أن يؤيد وجهة نظره، فلم يجد سوى الخطابة وسيلة يصل بها إلى غرضه، وقد امتلأت كتب الأدب والتاريخ والفرق بالكثير من هذه الخطب المتنوعة.

وعلى سبيل المثال حينما شخص الإمام على – كرم الله وجهه– من المدينة إلى البصرة، وخطب فى أتباعه، فحمد الله وصلى على النبى وذكر الجاهلية وشقاها والإسلام والسعادة، وإنعام الله على الأمة بالجماعة، وذكر أن ما حدث جره على الأمة قوم طلبوا هذه الدنيا، "وحسدوا من أفاءها الله عليه وأرادوا رد الأشياء على أدبارها"(١). وقال ﷺ: "سيروا إلى أعداء الله والسنن، سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار، إن الله أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته فانصبوا نفوسكم فى أداء حقه...إلخ(٢).

وقال معاوية بن أبى سفيان ﷺ: "أيها الناس، عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم. إن الجنة لايرحل من أوطنها ولايهرم من سكنها، ولايموت من دخلها، فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها، ولاتنصرم همومها،وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم.. إلخ(٣).

تاسعاً: ما قدمه الإسلام من الحث على الزهد الصحيح وغير ذلك من الأفكار المختلفة التى عالجها هذا الدين الحنيف.

كل ذلك كان بوسيلة الخطبة التى ازدهرت بسبب هذه الصراعات المختلفة.

- **أهم خصائص الخطابة فى الإسلام:**

بعد هذا العرض الموجز لتطور الخطابة فى الإسلام يجدر بنا

---

(١) الكامل لابن الأثير ج٣ ص٣٦، تاريخ الطبرى ج٥ ص٣٨.
(٢) تاريخ الطبرى ج٥ ص١٢٨. (٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٢ ص١١٠.

أن نتعرض لأهم الخصائص التى امتازت بها الخطابة فى رسالة المصطفى ﷺ **ونوجزها فيما يلى:**

أولا: طول الخطبة غالبا بخلاف العصر الجاهلى، فقد كانت الخطبة فيه قصيرة.

ثانيا: تقسيم الخطبة إلى مقدمة وعرض للموضوع وخاتمة.

ثالثا: عرض الخطبة قائم على الترتيب المنطقى الصحيح الذى يعتمد على استخلاص النتائج من مقدماتها.

رابعا: الأفكار المتجددة فى الخطابة الإسلامية.

خامسا: تدعيم الخطبة بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث للنبى ﷺ وآثار السلف الصالح – عليهم رضوان الله تعالى–.

وفى النهاية وبعد أن تحدثنا عن الخطابة فى الإسلام وقبل أن ننهى حديثنا لابد أن نوضح وباختصار الفرق بين الخطابة فى الإسلام وما سبقها.

- **الفرق بين الخطابة فى الإسلام وما سبقها:**

بشىء من المقارنة نجد أن الخطابة فى عهد الإسلام قد امتازت عنها فى عهد الجاهلية وغيرها بأمور تنحصر فيما يأتى:

١– كانت لها وجهة دينية تتمثل فى خطب الجمع، والأعياد، والحج، والوعظ والإرشاد والتعليم وغير ذلك مما يستلزمه نشر الدعوة الدينية.

٢– اتباعها خطة سياسية فى مثل تأليف الجماعات والأحزاب وتوحيد الكلمة والحث والتحريض على القتال لإعلاء كلمة الله بحالة تغاير ما كان عليه العرب فى الجاهلية وما قبل ذلك.

٣– صفاء ألفاظها، وسهولة عباراتها، ومتانة أساليبها، وتجنبها سجع الكهان، وقلة القصد فيها إلى سرد الحكم القصيرة الدقيقة لمناسبة وغير مناسبة، خلافا لما كان عليه خطباء الجاهلية.

٤- قوة تأثيرها ووصولها إلى أعماق القلوب وامتلاكها للوجدان والشعور بما رقق القلوب الغليظة القاسية وأسال الأعين الجامدة.

٥- محاكاتها أسلوب القرآن الكريم فى الإقناع واستمدادها من آياته حتى اشترط بعض الأئمة اشتمال الخطبة على شىء منه.

٦- بداءتها بحمد الله عز وجل والثناء عليه، والصلاة والسلام على النبى وآله وصحبه. هذا ولم تسعد العرب بكثرة الخطب والخطباء مثلما سعدت به فى العصر الإسلامى الميمون.[١]

* * *

(١) سبيل الحكمة فى الوعظ والخطابة للشيخ على محفوظ ص٥٢ وما بعدها.